

كلمة

تكرم حضرة حجة الاسلام العميد الكبير والإمام الخطير
الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فوضع المقدمة التالية لهذه الرسالة
نشرها شاكرين لحضرة عطفه الأبوي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد الحسيني كاتب متفنن لا يزال يطرق المواضيع التي تتطوع
التفوس اليها ، ويرغب القراء في الوقوف عليها ، وربما سدد يراعه نحو
اوسع موضوع فيأتيك منه بصورة مصغرة ويفتح لك نافذة من
البيان تتطوع منها على كل ما يهمك فيه ، ومن ذلك هذه الرسالة
الوجيزة التي بحث فيها عن احوال (النبائية) فقد اصبح بهاعن الحقائق
الناصمة باوجز بيان واخذ بالموضوع من اهم جهاته ، وادق خصوصياته
لا زال في نشاط لخدمة الادب والتاريخ معزناً بالتوفيق والكرامة
إن شاء الله

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

البايون في التاريخ

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

وهي مقالة تاريخية ممتعة نشرتها مجلة العرفان الصيدلانية

في المجلد الـ ٢٠ لسنة ١٣٤٩

تم طبعها على كاغذ مستقل

الطبعة الأولى

عباس افندي البها زعيم البهائيين المتوفى في شيخوخته



ومعه حفيده وخليفته شوقي افندي الرباني



عباس افندي البها في شبابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الفكر والآراء كسائر الكائنات الحية التي تتكون وتنمو وتتطلب لتكوينها ونموها ظروفًا وأحوالًا خاصة . والفكر الدينية قد تكون من اسرع ما يتكون وينمو من بين الفكر ومن اقل ما يتطلب جهودًا تبذل لنشوته ونموه . فقد تبقى الفكرة العلمية والفكرة الاجتماعية طيلة عصور وازمان لا تستطيع الظهور خلالها أو تظهر ولا تقدر على النمو فيها أو تنمو ولكنها لا تجد ظروفًا تلائمها وهكذا تبقى محدودة . أما الفكرة الدينية فسرعان ما تتكون وتنمو وتخلق لنفسها ظروفًا تساعدها على الانتشار وفي التاريخ من الحوادث ما يكفي شاهدًا على صحة ما تقول . لهذا فلا عجب اذا شاهدنا الفكرة البابية - وهي وليدة العصر الحاضر - تجد مفرسًا خصبا في اذهان بعض الناس وتنتشر انتشارًا سريعًا حتى بين الأمم الراقية ونجد من افكار الكتاب وأقلام المحررين مجالًا للأخذ والرد فتكون من مواضيع البحث ونقاط التمسحيس والتدقيق وقد اترقى بها الحال فتأخذ صبغة علمية أو مبداءً سياسيًا يساعدها على ان تنتشر بأوسع من ذلك

- مدخل البحث -

ونحن إذا ما حاولنا ان ندرس عقيدة أو فكرة أو مذهباً فمن المستحيل علينا ان نصل الى حقيقة تلك الأشياء دون ان نقف على حياة الشخص الذي فكر بها وعلى الظروف التي احاطت به وخالقت منه رجلاً يتجه هذا الاتجاه الخاص في تفكيره . وحياة (علي محمد) منشى الفكرة البابية على ما هي عليه من قرب التاريخ ووفرة المصادر التي تبحث عنها ، لا تزال رمزاً متقللاً ونقطة غامضة ولا تزال آراء الباحثين مختلفة ومتباينة في تحديد وتحليل العوامل التي كونت هذا المذهب والظروف التي ساعدته على الانتشار .

أما نحن فسنعقب في بحثنا الاصول العلمية الموضوعة لدراسة الفكر وتحليل المذاهب والعقائد وسنضع حياة هذا الرجل الغامضة موضع البحث والتمحيص فنحللها تحليلًا علميًا بقدر المستطاع لتتوصل الى نتيجة نرجو ان تكون صحيحة ومرضية في عين الوقت . وما غاية البحث الا الوصول الى الحقيقة الناصعة التي ستضاف الى سجل الحقائق العلمية الخالدة

- عوامل النشوء للمذهب البابي -

اوضحنا ونوضح الآن ان القرن الثالث عشر للهجرة كان مثارا لنزعات وفكر ومذاهب مختلفة وكانت كربلا والنجف والهند وجزيرة العرب وبلاد ايران المهده الوحيد لنشوء هذه الفكر وتنازعها . ومعلوم من طبع الشعب الفارسي انه سريع التأثير متناه في العقيدة مغال في

آرائه ومبادئه . وفكرة البابية بشكائها المبحوث عنه لم تتحدد إلا في إيران وان كان بذرها الاول انما بذر في كربلا . فقد كانت الفرقة الباطنية التي نشأت في القرن الثاني للهجرة وتطورت بعد ذلك الى ان ظهرت فكرة الشيخية والكشفية اساسا للفكرة البابية والباحث في اعماق التاريخ يعلم الاسباب التي دعت الى ظهور الفكرة الباطنية (راجع كتاب فجر الاسلام) ومن هنا حصل اشتباه لبعض فرأى ان الفرقة البابية فرقة من فرق الاسلام مع ان كل ما فيها من التعاليم لا علاقة له بالدين الاسلامي إلا كعلاقة بقية الاديان به . و(علي محمد) وان تلقى دروسه الاولى في كربلا على اصول الشيخية (او الباطنية) ولكنه لم يجد القبول والترويج الا في بلاد إيران .

والذي يهمنا قبل كل شيء ان نتحرى الاسباب التي خلقت هذه النزعة في نفس رجل هذا المذهب ومؤسسه وان نلتمس من دراسة حياته ما يوضح لنا التطورات التي طرأت عليه ولا ننسى ان الرجل وان كان ينتمي بنسبه الى البيت النبوي ، الا ان نشأته كانت في بلاد إيران وفي بيت من بيوت الثروة والجاه فيها وإيران في ذلك الوقت كانت تلتمس لها فكرة جديدة كهذه لتقوم في وجه الاستعمار وتثور على السلطة المستبدة . وان حياته الفكرية لم تأت اليه عن طريق الوراثة فقد مات ابوه (السيد محمد رضا الشيرازي) وهو طفل في الثالثة من عمره ، وترعرع وهو تحت وصاية خاله (المرزاه علي) ذلك الرجل الذي كان مشربا وتاجرا معروفاً في إيران . ولا ننسى ان (شيراز) كانت من عواصم العلم في إيران يومئذ وكانت لتعمر كز النهضة العلمية في كربلا والنجف اثر على عواصم العلم في إيران عامة وعلى (شيراز) خاصة فقد وقفت فيها الحركة العلمية بعد ان نزح علماء الدين الى كربلا والنجف وكان في وقوفها وقوف الحركة التجارية وتعطيل لأسواق التجارة وهذا هو السبب الذي دعا خال مؤسس المذهب البابي لأن ينتقل الى (ابو شهر) المدينة الساحلية التي كانت من نقاط الاتصال البحري في ذلك الوقت ونشأ (علي محمد) مشغلا مع خاله في التجارة وبارعا في اساليب المضاربات الأمر الذي دعاه ان يستقل اخيرا في اشغاله وان ينفرد بتجارته وان يحوز على مركز تجاري ويذيع بواسطته شهرة لنفسه بين ارباب المصالح .

والذي يظهر أن (علي محمد) لم يكن مع تفوقه في التجارة منصرفا اليها فحسب ولم تكن هي المهنة الوحيدة التي يشتغل بها انما كان كقسم من التجار في ذلك الوقت يدرس العلوم الدينية والرياضية

وبصرف في سبيلها اشطرا كلبا من اوقاته . وقد كانت دراسة الرياضيات في ذلك العصر دراسة فلسفية لا تتقف عند فهم قواعد الارقام واصول الحساب ، انما تتطرق الى شيء آخر وتدخل في فن مخصوص عرف (بفن تسخير روحانيات الكواكب) وهذا ما كان يشغف به بعض ابناء التجار والتموليين فيصرفون في سبيله الأموال ويبدلون لتحصيله الجهد ويتركبون لعقد رياضاته المشاق والمتعب وكان (علي محمد) ممن تذوق هذا العلم منذ نعومة اظفاره ودرس كثيرا من كتبه ومؤلفاته وحمل نفسه السهر والوقوف تحت الشمس المحرقة لإتمام رياضاته . فقد نقل عنه في مصادر مختلفة انه كان في ايام اقامته في (ابو شهر) يصعد الى السطح مكشوف الرأس ويمكث في الشمس من الظهر الى وقت العصر مستقبلا قرصها متحملا حرارة اشعتها حيث تشتد في هذا البلد ولا يخفى ما في تكرار هذه الاعمال الشاقة وما في العزلة والانفراد والخلاوات من الأثر على عقلية الانسان وطور تفكيره ونظره الى الحياة وقد حصل ذلك الأثر (علي محمد) وظهرت فيه علائم هذا التفكير فكان خاله (المرزہ علي) يرعى في تفكيره شذوذا وينظر الى اعماله وأقواله بعين الريبة وكان ينصح اليه بالابتعاد عن هذه الحركات ويشفق عليه من ان يتطور به الحال الى نتيجة غير محمودة . ولما لم ير في (ابو شهر) الجو الصالح لسفائه مما لم به ووجد في نفس ابن اخته ميلا ورغبة الى زيارة العنبات المقدسة ، وافق على نصيح الاطباء له بأن يرسله الى العراق حيث الهواء النقي وصفاء البال من الاشتغال بهذه الخياليات فكانت هذه الرحلة الثانية (علي محمد) مؤسس المذهب الباطني اما الرحلة الاولى فكان انتقاله من (شيراز) الى (ابو شهر) .

== منشأ الباطنية —

قلنا ان الفكرة الباطنية نشأت في القرن الثاني للهجرة وانها لم تكن وليدة التعاليم الاسلامية انما كانت عريضة في معتقدات الفرس ودخلت هي كسائر المعتقدات الأخرى بين تعاليم الإسلام وأخذت شكلا علميا تبحث عنه كتب الكلام والمعتقدات الاسلامية ووجدت لها اعسوانا وانصارا حينما تعددت المذاهب والمعتقدات في القرنين الثالث والرابع للهجرة ولكنها اختفت بعد ذلك ثم كانت اياها مظهر سياسي في الدولة الفاطمية في مصر وبزوال هذه الدولة لم يبق لها في كتب الكلام واللاهوت اي وجود . وفي جميع ادوار اختلافها لم تعدم وجود اشخاص يفكرون بها ويبحثون عنها كما وجدوا الى البحث فيها سبيلا .

وقد جاء القرن الثالث عشر للهجرة خاتمة نزاع بين فكرتين قديمة وحديثة هما فكرة الإخبارية وفكرة الاصولية ولم يقتصر هذا النزاع على اصول الفقه والاحكام ، انما تسرب الى المعتقدات فكانت هناك آراء جديدة في ماهية المقلد والمجتهد (اي الرئيس الذي يتولى منصب الإمام) فألفت في ذلك عدة مؤلفات وتقتض كل رأي خصمه . ودخلت هذه المباحث اصول علم الكلام والفلسفة اليونانية فأصبح هذا الموضوع واسعا واصبح التفكير فيه يتطلب تعمقا في النظر ووقوفا على قواعد المنطق القديم .

وكان للشيخ احمد الاحسائي المتوفى عام ١٢٤٣ هـ في بداية هذا القرن مكانة سامية وذكري شهيرة في اندية العلم ومحافل الادب والتدريس في كربلا والنجف وايران وكان هذا الرجل كمجدد للفكرة الباطنية ومخرج لها بصورة جديدة فكان له مجلس درس في كربلا وكانت له مؤلفات يتداولها قسم من طلاب العلم . ولكن فكرته لما فيها من الغموض والابهام ولما يستعمله مؤسسها من العبارات المعقدة التي ترى بحسب ظاهرها غير ملائمة لقواعد المذهب واصول الاسلام ، كانت ممقوتة وكان الاعتقاد بها يرى مروقا عن الدين وخروجا على قواعد الإمامية ومع ذلك فقد كان له طلاب يلزمون درسه واعوان يترددون إلى مجلسه وآخرون يبشون له الدعوة هنا وهناك وقد سمي هؤلاء بالشيخية نسبة الى الشيخ احمد المومني اليه . وكان (السيد كاظم الرشتي) في مقدمة اولئك الطلاب والاعوان وقد تلقى دروسه الاعتقادية على الشيخ نفسه ومع انه كان من اشد انصاره ، فإنه لم ير رأي شيخه في جميع المسائل . لهذا أخذ ينفرد بعد موت استاذه بآراء وافكار تختلف اختلافا جوهريا عن آراء وافكار الشيخ الاحسائي ،

والذي يجمل بنا هنا ان نشير اليه ، هو ان الفكرة الباطنية نظرا لما يحيط بها من غموض وابهام ونظرا لما في طرق تأديتها وتعليمها من رموز واشارات قد يتعذر وجود شخصين متفقين فيها . وهذا ما جعل السيد كاظم الرشتي يخالف استاذه الاحسائي في كثير من مبادئه ويؤسس له طريقة جديدة عرفت بالطريقة الكشيفية وهذا بعينه ايضا هو الذي حدا (علي محمد) الى ان يؤسس مذهبا آخر رغم اتصاله الشديد بصاحبه السيد الرشتي .

اوضحنا ان (علي محمد) جاء الى العراق بعد اشارة الاطباء عليه بالسفر وبعدان كانت حاله في نظر عارفيه مريبة ولكنه صادف ما كان يخاف عليه منه الا وهي تعاليم السيد الرشتي

فقد زادت هذه في الظهور نعمات وازدادت الى اضطرابه الفكري اضطرابات اخرى فكان يرمى في مجالس البحث والمجادلات العلمية في كربلاء كمختل الشعور . وكانت تحوم الأ نظار حول آرائه وبياناته المعجولة ومجادلاته غير المعقولة . وكانت هذه الحالة كمتيجة طبيعية لحبائه في (ابو شهر) تلك المنطقة المعروفة بحرارتها ولدراسته لعلوم التسخير والنجوم ولتحمله المشاق الكثيرة في الرياضات والاختام والاوراد ولدراسته الاخيرة لتعاليم السيد الرشتي وبعد ان اقام في العراق نحو من اربعة اعوام زار خلالها بغداد والبصرة وتعرف بقسم من رجال القطر اراد حج بيت الله الحرام فقصده عن طريق البحر وكانت السفن ترسو بطبيعة سيرها في المدن الساحلية الكبيرة و (ابو شهر) في مقدمة تلك الموانئ . فما ان رست السفينة في مينائه ، الا وعادت ذكريات الوطن الى قلب (علي محمد) فأجل سفره الى الحج وآثر المكوث في بلده وروية احبائه على الذهاب الى مكة المكرمة . ولكنه لم يطل البقاء في هذا الميناء مدة حتى حن الى مسقط رأسه (شيراز) فيمهما قاصدا تلك المدينة التاريخية القديمة فنزلها ضيفا محترما على اصحابه واقربائه . وكان بحكم قواعد المذهب الباطني ملتزما لبث الدعوة لمذهب استاذه السيد كاظم الرشتي فاوجده له شزيمة أخذت على عاتقها تأييد مساعيه ونشر آراء استاذه وحصل في ذلك الوقت من الظروف المناسبة ، ما اطعم (علي محمد) في ان يظهر كرئيس مذهب وكزعيم مجدد . فقد جاءت الأنباء تنعى استاذه الرشتي الذي توفي عام ١٢٥٩ هـ ١٨٤٣ م وأرخت وفاته بجماة (غاب بدر الهدى) فكان ظرفا مناسباً وجوا صالحا بدأت فيه الفكرة البابية تظهر بشكائها الجديد .

— ظهور البابية —

لم تبرح الفكرة التي نشرها الشيخ احمد الاحسائي واتباعه من بعده اذهان الناس وقد اخذت اشكالا مختلفة عندما تناقها السذج من العامة وسواد المتدينين فكانت الحديث الوحيد الذي تتذاكر به الخاصة . ومعلوم ان الفكر والمبادئ متى اصبحت في اذهان البسطاء أمكن استغلالها ولا سيما من طريق الدين . ولا ننسى ان للسياسة الأجنبية في بلاد ايران الهد التوبة في تنمية هذه الافكار وفي صرف الناس عن النظر الى حالتهم السياسية ونعلم ان ذلك الوقت كان الوقت المعد للشروع بتجزئة البلاد الشرقية وفي ضمنها ايران وان الايدي كانت تلعب تحت الخفاء . ولاسيما من ناحية الدين دورا مهما . وكان ظهور الفكرة البابية من العوامل

المساعدة على ذلك .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد كان للسيد كاخظم الرشتي اعوان وانصار كانت في مقدمتهم امرأة استطاعت بما لديها من ادب جم وذكاء مفرط وجمال باهر واساليب خطابية خلاقة أن تجلب كثيرا من سواد الناس الى اعتناق المذهب الكشفي او الى التفكير بهذه الفكرة الجديدة . تلك هي الفتاة المدعوة ام سلمى بنت الحاج ملا صالح البرغاني والملقبة بـ (قرة العين) والذي يظهر من دراسة هذه الدعوة في ايران انها كانت منظمة ولا سيما بعد ان اعلن (علي محمد) انه الواسطة بين الائمة والرعية وانه الطريق الوحيد للوصول الى الحقائق الالهية ودعا نفسه بـ (النقطة) او (الباب) وسيجيء عند شرحنا لاصول المذهب البابي المقصود من هذه الاسماء . وان هذا النظام الذي قامت عليه الدعوة لا يكاد يختلف عن النظر التي تمشت عليها الدعوة الباطنية في مختلف ادوار ظهورها . فقد كان (الباب) هو الرئيس الأعلى وقد كانت الدعوة الذين بلغ عددهم في بادى الامر تسعة عشر تقريبا هم (الحروف الحية) المقدسة التي هي مصدر الحياة . و (الحروف الحية) رمز تعرف به البابية حتى الآن والقصد منه ان يكون عدد الدعوة او المظاهر يملو عدد كلمة (الواحد) التي يبلغ عددها في الابجدي العدد (١٩)

— انتشار البابية —

ظهر مذهب البابية عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) وراح انصاره يبشرون له الدعوة في سائر الانحاء بتأثير السياسة الاجنبية ولما لم تكن هذه الحركة تتناسب والمركز الديني لعلماء ايران يومئذ ، ولما كانت اكثر التعاليم التي جاء بها (الباب) مخالفة لاصول الدين الاسلامي ، فقد قامت قيامة العلماء في وجه هذه الدعوة فنشرت الرسائل والفتاوى والكتب والقيت الخطب وفي جميعها من التنفيذ لهذه المبادئ ما فيها . واستحث الروحانيون رجال الدولة على وجوب استئصال شأفة هذه البذور التي بدأت تهدد الأمن العام في فارس وتضعض الايمان والعقائد في نفوس البسطاء من الناس وحصل من هذه المقاومة ان مال بعض السذج إلى هذه التعاليم فزاد (الباب) نشاطا واعلن نفسه — بعد ان كان واسطة للوصول إلى الائمة — انه هو المهدي المنتظر وانه هو الذي سيملا الارض قسطا وعدلا بعد ان ملئت ظلما وجورا اذ ليس في العقيدة البابية وفي تعاليمها ما يمنع من هذا الادعاء

فالإمام مظهر من مظاهر الله في الأرض وواسطة تبليغ الناس لانكشاف الحقائق له . فإذا حصل من هو في رتبته في الكشف فلأمانع هناك من ان ينال عين الرتبة . وهذا مادعاة إلى أن يظهر بمظهر أرقى من الدعوة السابقة فيدعي انه أفضل من محمد (ص) صاحب الدعوة الإسلامية وان تعاليمه التي جمعها في قرآنه هي أفضل من قرآن محمد (ص) وان محمداً (ص) إذا كان قد تحدى الناس بإتيان سورة من سور قرآنه (ص) فإن الباب يتحدى الجميع بإتيان حرف من حروف القرآن الذي جاء به (أي بيانه) وهكذا استمر (الباب) في نشر الدعوة لنفسه واستمر اتباعه في مختلف البلدان والقرى الإيرانية يحدون حذوه ويؤيدون تعاليمه وزاد الطين بلة موقف العلماء الاعلام الصلب ضده ومساعدة السياسة الأجنبية لهذا الاختلاف والانشقاق والحقيقة التي يجب أن يجهر بها كل منصف هي أن (المرزاه علي) خال الباب لم يكن ليستحسن سلوك ابن اخته وكان كلما نصح اليه بلزوم الإبتعاد عن هذه السفاسف والخزعبلات لم يجد منه غير العتو والتعننت لأن آراءه لم تبقى نظرية فقد دخلت في دور الاعتقاد والإيمان من نفسه ولا سيما بعد ان ثمل بخمرة الانتصار ووجد بين يديه شرذمة تؤيده فيحسب لها حسابها

— موقف علماء إيران —

كان لرجال الدين في إيران قبل الانقلاب الأخير منزلة رفيعة ومكانة سامية في تمشية أمور الدولة . فقد كان الشاه وهو الحاكم المطلق في إيران يستند اليهم ويراقيهم ويستمد منهم المعونة والتأييد في بعض الاوقات بصفة كونهم قادة للرأي العام وقوة الدهماء من الناس . وقد أعدوا لإخماد الفتنة التي أثارها الباب طرقاً عديدة حاولوا فيها اقناع مثيرها وردّه عن غيّه . ولكنها لم تنجح فقد تبودلت الرسائل والكتب بينهم وبينه وعقدت عدة مجالس للمناظرات وكان آخر مجلس هذه الغاية قد عقد في (شيراز) وكان يوم عقده يوماً مشهوداً حضره جم غفير من الناس وقسم كبير من مشاهير العلماء في إيران واستدعي الباب ايضاً فحضر ودار البحث فكان من جانب العلماء سديداً جارياً على قواعد المنطق والنقل في حين انه كان من جانب الباب خشناً غير مستند إلى اصول معتبرة أو قواعد مسلم بصحتها . ورأى العلماء في نهاية البحث ان المنطق لا يجدي نفعا مع الرجل لأنه مندفع بعقيدته إلى حيث لا يستقر له قرار . فقرر مجلسهم وجوب قتله وأصدر حكمه القطعي بذلك إلى حاكم المدينة

لتنفيذه . وحكومة إيران في ذلك الوقت تعتبر أوامر العلماء قانونا

= موقف حكومة إيران -

أما الحكومة نفسها فلم يرقها ما رآته من القلاقل التي ظهرت على أثر الدعوة البابية وقد تماهت في بادئ الأمر أملا في أن تهدأ الفتن والقلاقل بواسطة الإقناع والإرشاد من جانب العلماء إلا أنها اضطرت في آخر الأمر إلى أن تبث العيون لتراقب حركاتهم (حركات البابية) ولما عظم الأمر واتسع الخرق وأصبحت أوامر العلماء تهبط على مراكز الحكومة في كل يوم بوجود وضع حد لتلك الفوضى واشتركت كربلا والنجف وهما مركز العلم في استنكار وجود هذه الدعوة وسكوت الحكومة الإيرانية عن اخمادها ، قبضت على جميع البابين وزجرتهم في غياهب السجون في شيراز لكثرة ما وجدت فيها من الاضطرابات ثم امرت بنجزم انوفهم والتطواف بهم في شوارع المدينة وازقتها قاصدة بذلك ان تردعهم عن غيهم وترجعهم عن فكرتهم وكان الباب قد سافر إلى (ابو شهر) فأرسل حاكم شيراز المرزح حسين خان نظام الدولة التبريزي المراغي ثلة من الجند عادت به الى شيراز

وكان هذا الحاكم حازما يقدر لهذه الفتنة ظروفها ويعلم عواقبها فلم يشأ ان يسترسل مع التيار فيصدر أوامره بقتل الباب فيكون قتله مدعاة لفئنة اخرى تأتي على اثر وفاته . لهذا دعا العلماء الى تشكيل مجلس عام واعلان للجمهور حق الحضور فيه وأبان ان الغاية من هذا الاجتماع ان يتذاكر العلماء مع الباب علنا وان يكون قتل الباب مستندا الى حجة قوية تبرر هذا الاقدام الخطير وتوقف الجمهور على حقيقة الحال . وخشية من أن يضطرب الباب في هذا الاجتماع او أن تظهر عليه علائم الارتباك ، فاتحه سرا بأنه من انصاره واعوانه ومن المؤمنين بعقائده وتعاليمه وانه اذا غفر له ذنبه عما عمله مع اصحابه وعما اساء به اليه من جلبه من ابو شهر الى شيراز ، فإنه سيعمل السيف في رقاب المخالفين الذين لا يؤمنون بوجهه والهامه .

وانطلقت على الباب هذه الخديعة فكان رابط الجأش ثابت الجنان قوي القلب وبهذه الحالة دخل مجلس المناظرة الذي تمثل فيه الجلال والعظمة وغصّ بوجود العلماء وفضاحل رجال الدين وأحاط به السواد من كل جانب وكانت ثلة من الجند تحرسه فابتدر الباب العلماء قائلا ﴿ اما ان لكم ايها العلماء ان تنبذوا الهوى وتتبعوا الهدى وتتركوا الضلال وتذعنوا

لأوامر يـ فإن نبيكم لم يخلف بعده غير القرآن فهاكم كتابي — البيان — فاقروا تجدوه أفصح من القرآن واحكامه ناسخة لأحكام الفرقان فأمنوا بي قبل أن تسل السيوف وتوضع في رقابكم ﷺ وكتاب — البيان — هو المجموعة الإلهامية التي ألفها الباب في شيراز واحكامه هي التي ادعى انها ناسخة لأحكام الفرقان . وهذه المجموعة على ما هي عليه من ركة العبارة وغلط التعبير ولحن القول يرى الباب انها افصح من القرآن . (استغفر الله) .

دخل الباب ذلك المحفل الحاشد وابتدر الحاضرين بهذا الكلام فكان منطقه كقنبلة انفجرت في محفل آمن . ولكن الحاكم انتبه هذه الفرصة وطلب الى الباب أن يسجل ما تفوه به وان تكون كل المباحثات التي تدور في هذا المجلس خطية لينشرها على الناس ليميز الحق من الباطل ويبرر كل عمل ينوي القيام به . فخط الباب كلامه بقلم يمينه وخط العلماء دحضهم لاقواله . ولما سأله العلماء عن كثرة اللحن والاعطال في منطقه ، اجابهم انه لم يدخل المدارس ولم يقرأ الكتب وما جاء به انما هو وحي يوحى اليه وختم كلامه قائلاً (فخذوا الباب واتركوا القشور) وانتهى الجدل بينهم وبينه باصراره على وجهة نظره فوبخه السادة العلماء على مروقه من الدين واستتابوه فلم يتب فأفتى بعضهم بقتله ككافر زنديق وافتى البعض الآخر بجلده فقط وقد نفذت فيه الفنيا الثانية وبذلك انتهى المجلس على ان يعتقل الباب في بيته بضممان خاله (المرزه علي) على ان لا يتصل بأحد .

— تفسير الباب —

لم تنته دعوة الباب بالتبشير والدعاية إلى مذهبه فحسب إنما كان له انصار يخشى بأسهم ويتقى شرهم . وقد حدثت تعديت كثيرة اخلت بالامن العام وضاعفت الاضطراب وجرت اناء ذلك مفاوضات بين حاكم شيراز والعلماء في مصير أمر الباب فأحس الباب بها وفرّ هارباً إلى (اصفهان) وحدث من الظروف ما جعل الحكومة تشغل عن تعقيبه لانتشار الوباء في المدينة وانصراف الحكومة إلى توسيع الشؤون الصحية لدرء الخطر الذي بدأ يهدد الأهلين . وهناك مناسبة اخرى ساعدت الباب على توطيد مركزه في اصفهان ذلك ان الوالي (منوچهر خان) منحه شيئاً من لطفه والنفاته لانتسابه إلى البيت النبوي من جهة ولأنه كان يجهد درجة الخطر الناجم من المبادئ والتعليمات التي كان يبشر بها الباب . ولم يكن يعلم بما جرى في شيراز وابوشهر من الفتن والاضطرابات والتلاقل لبعده عنهما

ولعدم وجود وسائل المخابرة التي تربط البلدان بعضها ببعض فتجمل أهل كل مدينة يطلعون على شؤون المدينة الأخرى بالسرعة . يضاف إلى ذلك ان الإدارة في إيران كانت منجاة وكان كل حاكم يكاد يكون مستقلا بإدارة بلده فنال الباب بذلك الالتفات حريصة واسعة جماعته يستطيع نشر مبادئه في اصفهان نفسها وبدون مراقبة . فحصل من جراء ذلك استياء عام وهاجت المدينة وماجت بأهلها حتى ذهب الناس في أمر الوالي مذاهب شتى وطاب العلماء من الوالي أن يتدارك ما قد يقع من فتن واضطرابات يصعب تلافيها وتلافي خطرهما . فأعلن الوالي عندئذ عزمه على تسفير الباب إلى مقر السلطنة ليلاقي جزاءه وقد ارسله فعلا بصحبة ثلثة من الجنود إلى خارج المدينة ويقال انه اوصى الجنود أن يبقوا الباب في (مورجه) خارج ضاحية من ضواحي البلد وأن يسيدوه الى منزله ليلا . وقد نفذ أمر الحاكم كما اراد فاعيد الباب الى البلد ولبث في بيت الوالي مختفيا اربعة أشهر اغتيل خلالها الوالي فأطلع ابن اخته (كركين خان) العلماء على أمر الباب فهاج العلماء وماجوا وأمطروا بلاط إيران بوابل من رسائل الاحتجاج فاضطرت الحكومة المركزية ازاء هذا الهياج أن ترسل ثلثة من الجنود لحفر الباب ونقله إلى تبريز .

ويرى بعض المصادر ان الوالي (منوچهر خان) لم يأمر بأبقاء الباب عنده واخفائه في منزله ، الا لأنه كان ينتظر جواب طهران وانه بعد ورود الأمر بتسفيره الى تبريز ، ارسله مخفورا بثلثة من جنده . وعلى كل فقد نقل الباب الى تبريز واعتقل في قلعة منيعة بجوار المدينة يقال لها (ماه كوه) فلبث فيها سجيناً تسعة اشهر ثم نقل الى قلعة (جهريق) للتضييق عليه . ولم يكن في ايام سجنه منسيا من قبل رجال الدين فقد كان انصاره في الخارج وكانت دعايته لا تزال باقية ولم يكن للجمهور حديث أنشد غير حديثه . ولم يكتب العلماء بما انزلته الحكومة به من التضييق والحبس وكان الكل مجمعا على لزوم استئصال شأفة دعوته واعادة الأمن إلى نصابه وتطمين النفوس التي اضطربت من معتقداته وكانت دعوة العلماء تلاميذ رواجاً من قبل الرأي العام .

وكان حاكم أذربيجان في ذلك الوقت ولي عهد المملكة الإيرانية ناصر الدين شاه الذي اعتلى سرير الملك بعد وفاة والده محمد شاه عام ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) من أشد الناس رغبة في قمع هذه الفتن وقطع دابر هذه القلائل والاضطرابات بالقضاء على الباب وصحبه إلا أن

هناك ظروفًا كانت تحول دون تنفيذ رغباته . وكان الباب يتنقل يومئذ بين قلعة (جبريق) وتبريز ويضيق عليه تارة ويخفف عنه أخرى . وفي وسط هذه الاضطرابات التي كانت تموج بها إيران ، توفي الشاه محمد فأعتلا سرير الملك ولده ناصر الدين شاه فصادف الفتن تتور من هنا وهناك والمعارك تدور داخل المدن والقرى والحالة تغلي كالمرجل فمن بين قتل ونهب وحرق وذبح اطفال وانتهاك حرمت وتمثيل بالشيوخ والعجزة والشعب منقسم على نفسه والدسائس الأجنبية تكيد له وتعمل على اضعافه فكانت التبريكات التي ترد على البلاط الإيراني وتهني الشاه الجديد باعتلائه سرير الملك مشفعة بالتذمر ومصحوبة بالاستياء من الدعوة البابية فصمم الشاه الجديد على استعمال العلاج الاخير وقطع دابر هذه الفتن .

— اعدام الباب —

وكان من حزم ناصر الدين شاه وبعد نظره أنه لم يأمر بقتل الباب بدون اقامة حجة عليه وان كان في الاضطرابات التي وقعت بسببه أكبر العجيج واسطع البراهين . فقد أصدر إلى واليه في تبريز ان ينفذ أمر الاعدام في الباب بعد ان يجمعه بكبار العلماء ورجال الدين لينظروه ويحاجوه في آرائه عسى ان يجدوا منه عدولا عن عقائده ورجوعا إلى سبيل الرشاد فاعلن حاكم تبريز ورود امر الشاه وابلع العلماء ذلك وطلب منهم ان ينظروه للمرة الأخيرة فاستنكفوا عن ذلك ما دام الرجل لم يجد عن معتقداته رغم الاجتماعات الكثيرة ورغم المحاجات العديدة المتنوعة قيد اقامة وبعد اخذ ورد بين الحاكم والعلماء قرر ادخال الباب على رئيس المشيخة في تبريز الملا محمد الممقاني ليبت في أمره . وجرت هناك بينه وبين الرئيس مذاكرات لم تجد في اقناعه شيئا ولم يجد الرئيس لإقناع الباب وتغيير وجهة نظره سبيلا ووجده مضطربا في كل ما يقول ويفكر فاصدر فتيا به حضور جماعة من كبار العلماء والمجتهدين باعدامه . فسيق هو مع شخصين من المغالين في نصرته هما الملا محمد علي المازندراني والسيد حسين التبريزي إلى ساحة الاعدام (سربازخانه كوچك) في الثكنة العسكرية وأعلن للجمهور اليوم المعد لتنفيذ حكم الاعدام فغصت الساحة بمن حضر من اهل المدينة على اختلاف طبقاتهم وكان الكل مشفقا عليهم واعظا لهم راجيا منهم العدول عن فكرتهم وأن لا يكونوا سببا لسفك دمائهم في بلد اشتهر سكانها باكرام السادة والاشراف اكثر من غيرها فابوا الا السيد حسين التبريزي فإنه لما رأى المنظر ، أخذ الخوف والرعب الشديد وما لبث أن أظهر

التبرية من الباب وأخذ يطهره سباً ولعنناً ثم بصق في وجه الباب وأعلن أنه تاب واستغفر فأطاق سراحه وكان من المتفرجين على الإعدام .

— منظر الإعدام —

أما الباب وصاحبه الملا محمد علي المازندراني فلم يثنيا عن غيبيهما ولم يزد فيهما النصح إلا عتوا وتمرداً لأن الإيمان والعقيدة قد أخذت من نفسيهما مأخذاً يستحيل معه رجوعهما فتقدم الجند اليهما ونزع عن رأسيهما عمتيهما وشدا بجبل من القنب وعلقا على ارتفاع من الأرض فكان مشهداً مريعاً ومنظراً رهيباً . أما ملامح الباب فكانت تدل على ما يساور نفسه من الندم على ما فرط منه وحب الإذعان للحق إلا أن العزة كانت تمنعه من التصريح بما يترآى له وبين هذين الخاطرين المتناقضين رفع رئيس الجند صوته بإطلاق الرصاص فدوت البنادق في الفضاء متجهة إلى حيث تستهدف روحين دعمتهما العقيدة إلى التضحية في سبيلها . فاكتنف الجثتين دخان البنادق وساد السكون على الناس ووجفت القلوب وارتعدت الفرائص وتقطعت حبال المشائق ترمي عنها جسمين يتخبط أحدهما بالدماء . ويقول ويلهج (هلا رضيت عني يا مولاي ؟) . كانت تلك كلمة الملا محمد علي المازندراني أحد المؤمنين بالباب والذين لم يسلموه حتى الساعة الأخيرة من الحياة وحتى إلى درجة التضحية بدونه

وجاء الجند ليحتمل الجثتين فإذا هناك شيء غريب وحادث عجاب ذلك انهم لم يجدوا جثمان الباب فتسرب الظن إلى بعض ضعاف الإيمان وخامرهم الشك وكادوا ان يؤمنوا بأن المهدي الذي بشر بالعقيدة البابية قد غاب . وحصل شيء من الاضطراب في نفوس المتجمهرين الا انه سرعان ما زال بوقوف احد الجنود على ختل الباب وزاويته التي اختارها ليتقي بها الموت فقد صادف حسن حظ ان تقع رصاصة الجند في الجبل التي علق به الباب وان ينقطع الجبل فيذهب الباب يتطلب مكمناً لنفسه وملجأً يختفي به . فجيء به للمرة الثانية لتفعل فيه الكتيبة فعلها في صاحبه . وتروى (ساذج) حفيذة البهاء ان هذه الكتيبة امتنعت عن اطلاق الرصاص على الباب بعد ان نجما منه في المرة الأولى فاستبدلتها الحكومة بكتيبة ثانية وعلى كل فقد اعدم الباب في ٢٧ شعبان ١٢٦٥ هـ اما البابية فيدعون ان هذا الاعدام تم في ٢٨ شعبان ١٢٦٦ هـ (٨ تموز ١٨٥٠ م) والفرق بين الروايتين سنة ويوم واحد وكان عمره يوم اعدم ثلاثين سنة وثمانية اشهر ثم امرت الحكومة بسحب الجثتين وجرحهما في الشوارع والازقة

ولما جنَّ الليل ، القيتا في خندق من خنادق المدينة وبقيتا فيه اياما طعنة للكواسر ويزعم البعض من مؤرخي البابية بأن سلمان خان بن يحيى خان وهو رجل من اكابر اذربايجان تمكن بمساعدة حاكم تبريز من حفظ الجثتين عنده ردحا من الزمن حتى اذا جاء اليه امر خليفة الباب ، (البهاء) نقلها الى طهران حيث كانت مدفنا لهما . اما دائرة المعارف البريطانية فتدعي ان البايين نقلوا جثة الباب بعدئذ الى بعلبك من اعمال سورية وهو قول يفتقر الى اداة وبراهين كثيرة .

— بعد الاعدام —

لم تخمد الفتن بمقتل الباب ولم تنته حركة الاضطرابات باعدام مؤسس المذهب الجديد ورأت حكومة ايران ان من الحزم استئصال جرثومة هذا انداء وقطع دابر المفسدين . فاعملت السيف في البايين حيثما وجدتهم وكثبت الى الحكام في مختلف الانحاء تأمرهم باعدام كل من يتجاهر بهذه الفكرة وبمراقبة من يشتبهون به فلم يسمع لهم بعد ذلك الا الصارم صوت وباتت فارس هادئة ساكنة وعادت الامور الى مجاريها الطبيعية ومرت سنتان كاملتان لم يجر خلالها حادث يذكر الا انه كان تحت ذلك الرماد جمر يتقد ومن وراء ذلك السكون حركة يراد بها الثأر للباب وصحبه . وكان دعاة هذه الحركة من اصحاب الباب الذين فروا من وجه الحكومة واخفوا انفسهم عن الساطة ففي ٢٨ شوال ١٢٦٨ هـ (١٥ اغسطس ١٨٥٢ م) ظهر ثلاثة اشخاص حاولوا اغتيال السلطان ناصر الدين شاه بينما كان عائدا من الصيد الى قصره والانتقام من الشخص الذي قضى على الدعوة البابية . ولكنهم فشلوا في هذه المحاولة ووقعوا في يد الحكومة فواد عملهم عكس ما راموا وشدت الحكومة المراقبة على كل من يتهم به او يظن بانتسابه الى البابية فقبضت على من اشبهت بهم ونكلت بمن ثبتت ادانتهم وهكذا استمرت الاضطرابات فكونت حسا جديدا شعر به الناس بانصار الباب . وفي ٣٠ آب ١٨٥٢ ظهرت على مسرح التاريخ تلك الداعية البليغة (قرة العين) التي ذكرنا مالها من اليد في نشر الدعوة فقامت مع جماعة يبلغ عددهم الثلاثين نسمة يحاولون قلب الحكومة والثأر للقتلى البايين ولا يغيب عن البال ان هذه المحاولة ليست محاولة دينية بحتة فإن قلب الحكومة لا يعني بنفسه الا حركة سياسية مدبرة . ومعلوم ان فكرة الدستور كانت مختصرة في نفوس الايرانيين في هاتيك الأيام وان تلك الاضطرابات كانت سياسية دينية في عين الوقت وكان

الشاه ينكل باعدائه انصار الدستور باسم التنكيل بالبايين فكان هذا الأديب صارما وواسعا في عين الوقت وكان بنفسه دعاية للمذهب البابي فاعتبت (قرّة العين) وانصارها دورا مهما تمكنت الحكومة في نهايته من اللقاء القبض عليهم واعدائهم رميا بالرصاص اما هي فقد وضعت في فوهة مدفع اطلقت قنبلته فمزقتها اربا اربا فخدمت بذلك نار الفتنة ولم ينجاسر بعد هذا الحادث أحد على التظاهر بالمذهب البابي . الا ان التنكيل الذي اوقعته الحكومة ببعض خصومها من رجال الدولة ووجهاء البلد باسم اعتناق المذهب البابي كان له الامر السيء في النفوس قاطبة

— عقائد البابية —

يبني اساس المذهب البابي على الاعتقاد بوجود آله واحد ازلي نظير ما يعتقد به المسلمون الا ان البايين يستمدون صفات الخالق من اساس العقيدة الباطنية التي ترى ان لكل شيء ظاهرا وباطنا وان هذا الوجود مظهر من مظاهر الله وان الله هو النقطة الحقيقية وكل ما في الوجود مظهر له . والوجود في نظر المسلمين صادر عن الله وفعل مخلوق له . اما عند البابية والباطنية فانه صفة تدل على الحياة والتأثير ومن هذه الناحية الاعتقادية يبنون كل مظاهر العمل والعبادة على انها امور ظاهرية تعبر عن امر باطني

اما عقيدتهم في النبي والامام فمستمدة من عين العقيدة بالخالق . فالنبي او الامام في حياته مظهر من مظاهر الله في الارض وارتقائه الى هذه المنزلة انما هو باسئكماله صفات اخلاقية جعلته يعبر عن الامر الواقعي ويصل الى الحقيقة دون غيره فمن استكمل الصفات التي استكملها النبي او الامام فهو احق واهل للتظاهر بمظهر الدعوة والتبشير لهذا صرح الباب ان يكون مظهرا من مظاهر الله في الارض بعد النبي

هذه هي العقيدة الاصلية للمذهب البابي الا انها دخلت في تطورات جعلتها من بعض جهاتها غير مفهومة وادخلها من جهة اخرى في التعاليم الاجتماعية العامة شأن كل عقيدة تدخل بين الحوادث والتاريخ وقد اضافت اليها (البهائية) التي سيجي البحث عنها بعض التغييرات والتحويلات الا ان اساسها الاعتقادي واحد .

اما عقيدتهم العملية فلم تكن لتظهر في حياة الباب نفسه نظرا الى ان حياته كانت مملوءة بالاضطرابات والتنقل والى انها مقتصرة على بحث المبادئ والاعتقادات اما ما ينقل من

صنوف العبادات في هذا المذهب فكله منقول من الكتاب الذي خلفه الباب وترجمه غير واحد من المستشرقين الى اللغة الافرنسية . ونحن - على ما هو عليه هذا المصدر من الاحتمال والشك - نرى ان التعاليم التي جاءت فيه فيما يخص العبادات لم تكن واضحة وجلية الى حد اليقين فقد كانت الرموز والاشارات التي يستعملها علماء الكلام وفلاسفة الحكمة اليونانية تدخل بين جمل الكتاب فتري بظواهرها شيئا بينما هي تقصد شيئا آخر ولا ادل على ذلك من قول رئيس الشيخية (وهو ايس بهذا القرب الى المذهب الباطني) في تفسير حديث نبوي ورد في تطهير البئر حيث يقول (اذا وقعت الفارة في البئر فانزع لها ثلاثة دلاء) هذا هو نص الحديث اما تفسيره فيقول فيه (اذا وقعت فارة النفس في بئر الطبيعة فاستغفر لها ثلاثة استغفارات) فنحن نرى في هذا الكتاب الذي ترجمه الى الافرنسية المسيو كوينو ان الصيام في السنة شهر والشهر تسعة عشر يوما والسنة تسعة عشر شهرا ونرى غير ذلك من احكام العبادة البحتة ولكن لا ندري اهي مرادة على حقيقة ظاهرها ام ان هناك تفسيرات وتؤيلا ومقصدا خاصا لا يفهمه الا البابيون انفسهم ؟

واما عقيدتهم الاجتماعية فمؤسسة على تكوين جمعية موافقة من تسعة عشر شخصا تقوم بإدارة شؤون الفرقة ويازم كل متدين بأن يؤدي الزكاة لها سنويا خمس امواله وهي فكرة مستنبطة مما كانت ترمي اليه الفكرة الباطنية في تأسيس جمعياتها السرية التي وجدت في مختلف العصور وكانت خطرا يهدد الدولة العباسية وما اعتمها من الدول الاسلامية « وجميع اصناف العقوبات ممنوعة الا الغرامة والحياولة بين الرجل والمرأة فترة من الزمن . والتجارة حرة والعقود في التجارة مرعية . ودفع فائدة على البضائع التي تباع الى اجل معين مباح . ثم ان الزواج من بعد سن الحادية عشرة امر مفروض . والطلاق مكروه وتعطى للزوجين مهلة سنة حتى يتصالحا . والزوجان اللذان تفارقا يمكنهما ان يستأنفا زواجهما بعد شهر من الطلاق وذلك الى حد ١٩ مرة . والأرامل من الرجال والنساء عليهم ان يتزوجوا بعد الترميل بمدة مضروبة للرجال ٩٠ يوما والنساء ٩٥ يوما والا فالغرامة . ولا يجوز ضرب الصبي في الكتاب قبل سن الخامسة . واما من بعد هذا السن فيجوز ضربه على شرط ان لا يتجاوز ذلك خمس ضربات وان يوضع غطاء على محل الضرب . (والادب من الوصايا الملتزمة عند الباطنية . ويسوغ لبس الخلي والجواهر ولو تجاوز ذلك ما حدده الشرع . ويجب كل سنة صيام شهر

واحد — ١٩ يوما — من شروق الشمس الى غروبها . والتكاييف يقع من سن ١١ الى سن ٤٢ والوضوء مستحب وليس بفرض ولا بد من وجود حمام للاغتسال في كل حارة ويجوز روثية جميع النساء بدون نقاب والكلام معهن بدون حرج الا انه لا بد من الحشمة والاقتصاد في الكلام معهن ويستحب ان لا يزيد كلام الرجل مع المرأة الغربية على ٤٨ كلمة (ويجب ان يزار البيت الذي ولد فيه الباب ويبنى هناك مسجد وكذلك البيت الذي اعنقل فيه وبيوت الكبار من اصحابه . ولا يستحب السفر الا في تجارة . ولا ركوب البحر الا في حج او اتجار . ولا تلزم صلاة الجماعة الا على الجنائز . ولكن الوعظ في الجوامع مندوب . ولا يوجد رجس بعد الايمان بل كل من اتبع هذا المذهب فقد تظاهر بمجرد اتباعه اياه . وكل ما تحوزه يده صار طاهرا واما الماء فهو طاهر ومطهر . ثم يجب على البابي ان يقرأ في كل يوم ١٩ آية من بيان الباب ويذكر اسم الله (٣٦١) مرة ويدفن الاموات في قبور من البلور او من حجارة منحوتة ومصقولة ويوضع في يد الميت اليمنى خاتم منقوش عليه — لكي لا يستوحش الموتى في قبورهم — ولا يجوز لأحد ان يمتدي على احد ولا ان يكسر خاطر احد واذا خاطبك احد او كاتبك فلا بد لك من ان تجاوبه واذا استودعك احد كتابا لترسله او توصله فعليك تأدية هذه الأمانة وان الاشربة المتخمرة والمسكرات غير جائزة وكلما مضت ١٩ يوما فلا بد للمؤمن من دعوة ١٩ رجلا الى طعام او شراب ولو لم يكن سوى الماء القراح

(ولا يجوز الاستعطاء ولا اعطاء السائل ببل التصدق على السائل اثم . اما تقسيم تركة الميت فيؤخذ منها من رأس التركة نفقات الجنائز ثم يأخذ الاولاد تسعة انصبه والمرأة ثمانية والأب ٧ والأم ٦ والاخ ٥ والاخت ٤ والمعلم ٣ ولا يرث غير هؤلاء) ١ هـ

— الفكرة البهائية —

كان من بين اتباع الباب اخوان لأب يدعى احدهما (مرزه حسين علي) ويدعى الثاني (مرزه يحيى نور) وقد تخلصا من السلطة الايرانية التي كانت تطارد البابيين وتفتك بهما تحت كل حجر ومدبر . ولم يغب عن الباب يوم كان سجيناً في قلعة (جهريق) ان بوصي بأمر الدعوة الى من يقوم بها من بعده فقد كتب وصيته التي ختمها بختمه ووقع عليها بتوقيعه واوصى بتولية الأمور من بعده الى (مرزه يحيى نور) على ان يخلفه (مرزه حسين علي) ويقوم بوكالته طيلة زعامته . وقد كان كلا هذين الاخوين من المبرزين في فهم العقيدة

البابية وممن لهما مكانة في نفس الباب فكانا كمرشحين لزعامة المذهب في حياة الباب . ولما أعدم الباب علي نحو ما سلف ذكره ووقف اتباعه على وصيته ، اجتمعوا الى المرزاه يحيى نور وطلبوا اليه ان يقوم بتنفيذ الوصية وان يتولى الزعامة ولكن الرجل كان يحس من نفسه الضعف وعدم الاستطاعة للقيام بهذه المسؤولية الدينية وان اخاه المرزاه (حسين علي) ممن اجتمعت فيه الصفات التي تؤهلها للقيام مقام الباب واهمها انه كان رجلا روحانيا درس المذهب وتفهم معانيه فقام بالأمر وتقبل المسؤولية واصبح زعيم المذهب .

والذي يهمننا من تأريخ هذا الخليفة بيان التطور الذي ادخله على هذا المذهب والعوامل التي ساعدته على القيام بالأمر : فقد كان المذهب البياهي حتى وفاة الباب عقيدة صرفة وحركة تحاول الظهور بمجردها وعاملا من عوامل السياسة في بلاد ايران . غير ان الاضطرابات التي حدثت بسببه والمقاومات التي قام بها رجال الدين والضغط التي استعملته الحكومة ضده . كل ذلك مما افهم الرجال الذين استلموا هذه الفكرة انه من الضروري ادخال بعض التعاليم الجديدة عليها واظهارها بشكل مناسب . اضيف الى ذلك ان اساس العقيدة التي انتمت اليها الفكرة البابية هو المذهب الباطني الذي المعنا الى انه لا يكاد يستقر أو يستمر على صورة واحدة .

ظهر المرزاه حسين علي واخوه المرزاه يحيى نور كرئيسين للزعامة المذهبية والتف حولهما من بقي من متشردى البابية . وكانوا في كل حركاتهم موضع مراقبة ومحمل خطر يتخوفه الناس والحكومة معا . فقد كان الشاه مهذبا غير مرة من قبلهم وكان شعارهم بعدمقتل الباب (الانتقام الانتقام) مهما كلفهم الأمر غير ملتفتين الى ما يبذلونه في سبيل ذلك من الأتفس والأموال .

وغريب ان يمر الباحثون عن (الجمعيات السرية والحركات الهدامة) دون ان يعيروا هذه الجمعية اقل اهتمام ، وان يأخذوا حوادثها بنظر الاعتبار . والمطلع على تاريخ ايران قبيل اعلان الدستور وبعده ، يعلم ما لعبته هذه الجمعية من ادوار خطيرة في الانقلاب الايراني وما نجم عنها من تغيير في سياسة ايران ولو كانت لنا مجال للبحث عن الناحية السياسية في هذه الحركة لأظهرنا كثيراً من العلاقات والتطورات التي حدثت بسببها ولكننا نقصر على التأريخ الديني وعلى عوامل نشوئه فحسب .

وما ان احست الحكومة الايرانية بظهور هذين الزعيمين وبالتفاف جماعة من البايين حولها إلا واخذت في مراقبتهم ثم ألقت القبض على المرزاه حسين علي واراد الشاه تنفيذ الأمر فيه

الا ان الصدر الأعظم المرزّه تقي خان كان من اهالي مازندران ومازندران باد خليفة الباب (المرزّه حسين علي) فدفعته هذه الرابطة الى ان يتشفع الى الشاه فيه وان يطلق سراحه على ان يُبغى الى بغداد فنفي مع ٢٢ شخصاً من اهل بيته واتباعه فألقوا عصا ترحالهم في غرة محرم الحرام عام ١٢٦٩ هـ (١٤ تشرين الأول ١٨٥٣ م) أما اخوه المرزّه يحيى نور فقد اختفى في ايران ردحاً من الزمن وبقي متجولاً فيها بزيبه الدراويش حتى ساعدته الظروف على الالتجاف بأخيه ايام نفيه في الاستانة بعد اقامته في بغداد تلك الاقامة التي جعلت اهالي بغداد بما فيه من علماء وفضلاء ياحنون على الحكومة العثمانية وعلى الحكومة الايرانية بواسطة سفيرها في بغداد ان تسفره من بغداد .

أما سبب اختفاء المرزّه يحيى نور في ايران وعدم ظهوره الا في الاستانة فقد كان حياة مذبذبة لا تخام من فائدة لترويج المذهب الباطني ومن محافظة على الخليفة المنصوب بعد الباب . وقد علمنا انما تقدم ان المرزّه يحيى نور هو الشخص الذي رشح للزعامة وان المرزّه حسين علي لم يكن الا وكيلاً له ولكن خشية الفتك به واغتياله من قبل الحكومة ، جعلت زعماء الباطنيين يفكرون في حفظ سلامة الخليفة فقروا رأيهم على ان يتخفى متجولاً في زبي الدروشة وان لا ينصل بأحد وان تجرّيه المكاتبه بينه وبين المرزّه حسين علي فقط ولهذا السبب كان يلقب بالغائب وبهذه الحيلة نجا المرزّه يحيى نور من فتك الحكومة به .

واقدر كانت اقامة المرزّه حسين علي في بغداد (الذي ولد في طهران في ٢ محرم الحرام ١٢٣٣ هـ الموافق ١٣ تشرين الثاني ١٨١٧ م) مثاراً للفتن ومدعاة لتسرب الشك الى نفوس بعض العوام من الناس فعادر بغداد خلسة في عام ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) الى المناطق الشمالية الكردية وظهر هنالك بشكل شيخ متصوف واتخذ من جبل (سركو) مقراً يؤدي فيه اوراده ويقوم فيه بأدوار عباداته . وكان يتردد أحياناً الى بلدة السليمانية فأثار العلماء حفيظة الدولة العثمانية عليه وقام العالم الفقيه الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف (بشيخ العراقيين) واتفق مع سفير ايران في بغداد على ان يقوم بمخابرة بين الدولتين الايرانية والعثمانية بشأن اقضاء (المرزّه حسين علي) واخراجه من ارض العراق التي اصبحت بمكثه فيها مرجل قن واضطرابات داخلية . وكانت ايران في ذلك الوقت على مناسبة حسنة مع الدولة العثمانية وعلى انقياد تام لأوامر العلماء في العراق وكانت ترى في الوقت نفسه ان في بقاء المرزّه حسين علي

وصحبه في العراق على مقربة من البلاد الإيرانية ما يزيد الفتن والاضطرابات في بلادها والأمر لا تزال غير مستقرة هناك . وعلى هذا الأساس اتفقت الدولتان على تسفير البهاء وصحبه الى الأستانة فبلغوها في ربيع الأول ١٢٨٠ هـ (٣ اغسطس ١٨٦٣ م) واقاموا فيها نحو أربعة اشهر جرى خلالها حادث خطير جداً .

— حركة الانفصال —

وذلك ان المرزى يحيى نور الغائب المنشرد علم بوجود اخيه في الأستانة فجدد في الرحيل اليها وبلغها بعد أيام قليلة وكانت هذه التطورات قد خلقت من المرزى حسين علي زعيماً مطلقاً لا يفكر معه بزعيم آخر وكادت فكرة الغائب المتخفي تمنحني من الأذهان ولم يعد المرزى يحيى وهو الزعيم الأصلي ليذكر بجانب ما حصل لأخيه الوكيل من الشهرة والاستقلال بالزعامة . فلما وصل الأستانة واجتمع بأخيه ، وجد الأمور قد تغيرت فطاب منه أن يتخلى له عن الأمر وان يترك الزعامة لوليها الأصلي وصاحبها المنصوص عليه . الا ان المرزى حسين علي كان قد تذوق طعم الرياسة وخفقت النعال من خلفه فأبى ان يتنازل لأخيه فحصل بينها نزاع وافترق الأخوان في المنزل وصار كل منهما يشتغل على حسابه ويطعن في الآخر فحصل من هذا النزاع اضطراب في جبل الأمن اضطرت الحكومة من اجله الى ان تسفرهما الى أدرنه التي تدعى (بأرض السر) عند البايين فوصلها في اول رجب ١٢٨٠ (كانون الاول ١٨٦٣) وعاد بينهما في تلك الديار ذلك النزاع العظيم واستمر خمسة اعوام حصل خلالها من الاختلال في أدرنه ما حصل في الأستانة فاتفق الباب العالي والسفارة الإيرانية على التفريق بينهما ونفي كل منهما الى جهة فأرسل المرزى حسين علي الى عكا مع اتباعه الذين بلغ عددهم ٧٢ نسمة فوصلوها في ١٢ جمادى الأولى ١٢٨٥ (٣٠ اغسطس ١٨٦٨ م) ونفي المرزى يحيى نور الى جزيرة قبرص في السنة نفسها وبقي هناك الى ان وافاه الأجل في عام ١٩١٢ م .

بهذا التدبير استقر كل من الأخوين في ناحية منقطعة عن الآخر واستعملت معهما الحكومة المضايقة والمراقبة الشديدة فلم تسمح لهما بالتجول والاختلاط بالناس ولكن ادارة الموظفين العثمانيين في هاتيك الأيام لم تكن حازمة ، فقد تمكن البايون بطرق شتى من اعادة الحرية لهم ورفع التضيق عنهم . وكان المرزى يحيى نور في قبرص يتربص بأخيه في عكا الدوائر ويرسل عليه الرقباء والعيون ويحاول أن يفتك به وبأصحابه على حين غفلة . ولم يكن المرزى

حسين علي في غفلة عن هؤلاء الرقباء وبما ناله من العر كز في عكا ومن عطف امراء العثمانيين عليه بواسطة ما اسدس اليهم من مال ، كان يستطيع أن يفتك بكل من يناوئه في تلك الديار فهاجم تلك الثالثة التي كانت تراقبه وتكيد له وقضى على البقية الباقية من اتباع اخيه في عكا فاستقر له الأمر وصار في وسعه أن ينشر الدعاية لمذهبه .

أما الحكومة العثمانية فقد ضايقت المرزه حسين علي وأصحابه عندما فتك بأصحاب اخيه ولكنها عادت فأطلقت سراحهم وتركتهم في حرية من الدعوة لمذهبهم فأخذ المومني اليه يولف الكتب ويتظاهر بالادعاءات الكبيرة فكان خليفة للباب في بدء دعوتهم ثم انتقل الى الادعاء بأن الباب انما جاء ليبشر به كما جاء يوحنا المعمدان ليبشر بالمسيح . ولم يقتصر على هذا الحد من الادعاء بل ترقى الى ان ادعى بأنه المهدي المنتظر وأنه هو الذي سيملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مانت ظلماً وجوراً ، وكانت نفسه طامحة الى ما فوق ذلك ما دامت ادعاءاته تلاقي قبولا من انصاره واتباعه فادعى النبوة الخاصة اولا وتدرج منها الى النبوة العامة وارتقى الى مرتبة الألوهية المطلقة فكان هو الله في الأرض بعد ان كان مظهراً من مظاهره . وفي كل هذه الادعاءات كان الذين يؤمنون به يتلقون دعوته بالاذعان والقبول . ولم يشأ (الرب المطلق) ان يترك عباده وامنه من بعده فوضى بدون كتاب أو مرشد فألف عدة كتب كان آخرها (العهد) الذي اودعه وصيته ونص فيه على ولاية العهد لولده (عباس افندي) ثم لولده الثاني المرزه محمد علي . وقد حظر فيه ادعاء الربوبية الى ألف عام وبذلك ضمن لنفسه الألوهية لمدة عشرة قرون . وأصبح بعد هذا التطور الذي ادخله على مذهبه وعقائده يلقب نفسه (البهاء) مدعياً ان الباب واسطة الى الله أما هو فبهاؤه فكان إذا مشى في الطريق اسدل على وجهه برقعاً لئلا يشاهد بهاء الله المتجلي في وجهه وبهاء الله لا يرى بالأبصار ، ولذا اصبح اتباعه يلقبون بالبهائية اما اتباع اخيه المرزه يحيى نور فصاروا يدعون بالأزلية نسبة إلى الملقب الذي كان يلقب به نفسه وهو يحيى نور صبح أزل . وتدعي البابية أو البهائية ، ان البهاء لم يقتصر بدعوته على البلدان التي كان يقيم فيها بل كان في ايام اقامته في عكا يرسل الملوك والأمراء ويدعوهم الى الايمان بمذهبه . ويظهر للمتبع ان دعوته لم تلاق قبولا لا من الملوك ولا من الأمراء ولا من الوزراء .

— نظرة عامة —

يظهر للمتبع للتطورات التي تمخضت بها البابية في جميع ادوارها حتى وصلت إلى

دور البهاء انهما لم تكن الا فكرة وجدت وسطامستعدا للإنتقال فكانت وسيلة لتنفيذ المقاصد والأغراض . فأيران بل وبلاد الدولة العثمانية كانت في ذلك الحين تستعد للإنتقال الدستوري العظيم وسياسة الغرب كانت تضع المسألة الشرقية في اول مواضع النظر وتعديها من شتى الطرق الوسائل والتدابير فليس يبدع ان ترى البابية تلعب دوراً مهماً في أرض داريوس ونرى الحكومة الإيرانية تجعلها كهدف تعالج القضاء عليه . وإن القوة التي اكتسبتها البابية في بلاد فارس وفي قسم من بلاد الدولة العثمانية والضعف الذي طرأ عليها بعد ذلك ولا سيما قبيل موت البهاء ، كل ذلك يدلنا على أنها فكرة وقتية أنشأتها ظروف إيران السياسية واستعملتها لتقضاء مآربها وقتاً ثم لما قذفت بها في قلب الدولة العثمانية ، لم تجد الفكرة تلك الظروف المناسبة التي تجعلها تنتشر وتوسع وتبنى على ما أسسه الباب . لهذا نجد الرجل الثالث الذي ستتكلم عنه بعد حين ، وهو عباس افندي يقوم بكل ما أوتي من كياسة ودهاء في نشر مذهبه من ناحية اخرى ويتوسل الى غايته من غير الطرق القديمة ويدمج المبادئ الاجتماعية العامة (كبدأ السلم العام ومبدأ الحرية والمساواة) في مذهبه ملاحظاً ان الفكرة الدينية الأولى لا تستطيع ان تخطو بصورتها القديمة سني الحرب الكبرى ولا ان تجتمع مع التطور الفكري الذي سيحدث بعد هذا للإنتقال العالمي .

— عباس افندي —

مات البهاء في فجر اليوم الثاني من ذي القعدة ١٣٠٩ هـ (٢٨ ايار ١٨٩٢ م) على أثر مرض عضال العراء به فلم يممه اكثر من تسعة عشر يوماً تاركاً من بعده اربعة بنين وثلاث بنات كان اكبرهم سنناً (عباس افندي) الذي لقب نفسه بعبد البهاء والذي تولى زعامة الطائفة البهائية بوصية من ابيه (المرزه حسين علي) وكان رجلاً مفكراً نافذ البصيرة يقدر للأمر عواقبها ويعرف كيف يثبت اركان زعامته وكيف يصنع عقائده بصيغة تمكنه من ترسيخها في الاذهان وتجعلها مقبولة عند الناس وقد ولد (عباس افندي) في ٢٩ آذار ١٨٤٤ م وتوفي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٣ فكان عمره ٨٧ عاماً وكانت مدة تزعمه للمذهب البهائي ٢٩ سنة رحل خلالها عدة رحلات كانت سبباً في تثبيت دعائم المذهب . ولم يتركه القدر في بدأ زعامته من منازع يزاحمه في أمر الرئاسة على نحو ما حصل لأبيه . فتمحدث عندمات البهاء ان قام المرزه محمد علي النجل الثاني للبهاء فنازع أخاه الذي نص ابوه على ولايته وادى

ذلك النزاع الى انشقاق في صفوف هذه الطائفة . وهكذا تقطع هذه الشردمة سني التاريخ بين انقسامات واختلافات فلا يكاد يتغلب مذهب زعيم حتى يحدث عند وفاته مذهبان شأن المبادئ غير المستقرة . ولولا ما قام به (عبد البهاء) من الرحلات في الديار الغربية وما اقتنسه من أساليب التفكير وما أدخله من المبادئ الاجتماعية على مذهبه وما وهبه الله من جمال في الصورة وذكاء مفرط في التفكير ، لأصبحت البابية خبرا من اخبار التاريخ وأثرا بعد عين ولكن دهاؤه دفعه لأن يحول عقيدته الدينية الى مبادئ سياسية واجتماعية عامة ورأى ان الظروف التي فاجأها الحرب كانت ظروفًا مستعدة لتلقي أمثال هذه المبادئ فكان يبشر بوحدة الاديان ورفع الفوارق بين المذاهب والنحل . وكان يدعو الى السلم العام ذلك المبدأ الذي كانت حديث الخاص والعام . وبهذا انتصر على اخيه وانفرد بالأمر زعيماً مطلقاً .

وقد صادف (عبد البهاء) في زيارته للقاهرة عام ١٩١١ في طريقه الى الديار الغربية تعصيذا من بعض ذوي النفوس التي لا تقوى على مجابهة الحقائق العلمية فتستسلم لكل ما يعرض عليها فكان ذلك احد العوامل التي شجعت على الاسترسال في رحلته وبث الدعوى لمذهبه . فزار اوروبا واميركا واجتمع باقطاب السياسة وعلماء الاجتماع ورأى فيه الغربيون ما يرونه عادة في دعاة الاصلاح والمبشرين بالسلام فمأضدوا دعوته ونشطوا فكرته ولا سيما حين اخذ يلبس مذهبه صبغة اجتماعية تجيب اليه النفوس فكانت آراؤه تقبل عن طريق النصح والارشاد دون ان تكون ذات صبغة دينية بحتة . ومع كل هذا فإن الطبقة العامة في الغرب لا تختلف كثيراً عن سواد الشرقيين فقد تلقت مبادئه في اميركا خاصة وفي قسم من بلاد اوروبا بصورة دينية ولكنها اظهرتها بصورة ثلاثية فكرة الغربي واعتبرتها من مبادئ التصوف الحديث الذي يركز على المبادئ الانسانية العامة فلم تكن رحلته خائبة ولم يكن تجواله في الغرب مقتصر على التنزه .

بهذه الأساليب الخلابية استطاع (عباس افندي) ان يوجد له دعاة في عواصم الشرق والغرب وان يجعل مذهبه حديث الصحف والمجلات وسواد الناس من ورائها . وعاد من رحلته في الديار الغربية الى (عكا) وهو على يقين من نجاحه واطمئنان من رواج مذهبه او مبادئه فبأنه في الخامس من كانون الاول سنة ١٩١٣ ثم جاءت الحرب الكونية العامة بهولها

وفجائعيًا مؤيدة له فكان شخصية من الشخصيات العاملة في الشرق وكان الحلفاء يجناحون إلى أمثاله فيستخدمونهم في بث الدعاية لهم وكسر القوة المعنوية لعدوهم فكان من اخص الاعوان والناصرين وكان ممن انعمت عليه الحكومة البريطانية لقاء خدماته الجليلة ومساعدته لها أيام الحرب بوسام فارس الامبراطورية البريطانية اعترافا له بما اسداه إلى الحلفاء ممن المساعدات الثمينة التي جعلتهم يخرجون من هذه الحرب الضروس وهم ثملون بجمرة الظفر .

اما المذهب البهائي فبعد أن البس حلة اجتماعية وخرج من حظيرة الدين البحت لم تعد له تلك المكانة في نفوس السواد واصبح فكرة تدرس في الكتب واطالع في الصحف والمجلات ومات عباس افندي موصيا بالزعامة لحفيده شوقي افندي الرباني فلم نسمع ان قام هذا الرجل بما يشجع المذهب على السير والتقدم واصبحت قيمة المذهب علمية تفكيرية أكثر منها اعتقادية دينية . وبحثنا عنها انما جاء من هذه الناحية فحسب قصد أن نستجلي حقيقة من حقائق التاريخ الشرقي وحرارة من حركات جمعياته الهدامة وان كانت الصحف والمجلات قد بحثت عنها من ناحية أخرى تاركة ربط الحوادث بأسبابها غير ناظرة في الظروف التي نشأت فيها هذه الفكرة وإلى النتائج التي ولدتها في بلاد فارس وغيرها من المدن التي تغلغلت فيها .

— كعبة البابية في العراق وعدادهم —

ويجمل بنا أن نذكر هنا ان اقامة البهاء في بغداد عام (١٨٥٣) لم تكن خاوا من الفائدة لمذهبه فقد ذكرت بعض المصادر انه عندما وصل بغداد نزل في دار بمحلة الحيدر خانة فكان موضع مراقبة الناس وحصلت له بعض التحرشات من سكان المحلة اضطرته إلى ان ينتقل إلى جانب الكرخ من المدينة فاستأجر بيتا بمحلة الشيخ بشار وبقي فيها أيام اقامته وتردده إلى جبال (سركاو) في شالي العراق . فلما سافر إلى الآستانه على نحو ما ساف ذكره ، اتخذ اتباعه تلك الدار محلا مقدسا لهم يحجون إليها كما جاء في (البيان) من تقديس كل محل يحل به زعيم المذهب واستمر هذا المحل عامرا بالمرتدين حتى عام ١٩٢٤ ولكن كثرة التردد على هذه الكعبة الجديدة وإقامة الشعائر البابية في وسط بلاد وحكومة لا تعترف بهذا المذهب اضطرت العباء إلى ان يرفعوا الدعوى إلى المقامات العالية وان يلفتوا نظر الحكومة إلى أن هذه

الدار ليست بملك البابيين رغم وجود آثار طقوسهم الدينية فيها وأبلى علماء الشيعة في اقتراعهم من أيديهم البلاء الحسن وهي اليوم مايجاً عام لفقراء المسلمين .

أما عدد نفوسهم فقد بالغ البعض منهم في عددهم ورأى انهم يبلغون في فارس وحدها مائة الف نسمة وان لهم جماعات أخرى في مصر والهند واميركا وغيرها من البلاد يتجاوزون الملايين ولكنه عدد مبالغ فيه وآت عن نزعة دينية مجتة . والحقيقة التاريخية التي يجب ان تثبت والتي نستند في اثباتها إلى ما وقفت عليه من المصادر الموثوقة ، وإلى ما سمعته من رجال البابيين أنفسهم هي ان عددهم في جميع الأوساط العالمية لا يتجاوز ثلاثين الف نسمة على ما هم عليه من تشتت في الآراء والمعتقدات وعلى ما يبدو من النقص المستمر بواسطة رجوع الكثيرين منهم إلى حظيرة الأديان الكبرى وبواسطة دخول فكريتهم بين الفكر الاجتماعية التي سرعان ما تترك ما دامت فاقدة صفتها النقدية الروحية وهل ادل على ذلك من رجوع عظيم من عظمائهم ومفكر من خيرة مفكريهم إلى حظيرة الإسلام وتأليفه كتاباً ضخماً ضمنه الرد على البابيين وتسفيه آرائهم ومعتقداتهم بعد ان كان زعيماً يشار اليه بالبنان وينظر السواد ما يمايه عليهم من افكار وآراء وتعاليم جديدة ، ذلك هو الشيخ عبد الحسين آبي .

هذا ما حاولنا ان نشبهه خدمة للتاريخ وحباً باظهار الحقيقة غير منحيزين ولا متحيزين تاركين حرية النظر للقراء والباحثين معقدين ان الحقيقة المطلقة لا يمكن الوقوف عليها وكم ترك أول الباحثين لاخرهم من مجال ؟؟

